

تجديد أمر الدين بأقوال وأفعال أئمة المسلمين (١)

إقامة الجهاد على أساس التوحيد

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ويتجدد أمر الدين، والصلاة والسلام على رسولنا الذي بعث بالسيف رحمة للعالمين: إن من النعم العظيمة التي منّ الله بها على أمة نبيه صلى الله عليه وسلم أنه عزّ شأنه يهيئُ لدينه رجالاً صادقين يجددون أمور الدين وما اندرس من معالم الشريعة الغراء، والذي يحصل كثير منه بسبب مكر الكفار وكيدهم بأهل الإسلام ومحاربتهم على كافة الأصعدة وسعيهم الحثيث لنشر أديانهم الباطلة، ولذلك كانت شرارة الجهاد في العراق عند دخول الصليبيين فرصة ثمينة لثلة الموحدين لبناء كيان قوي يعزون فيه دينهم ويقيمون للمسلمين دولة، واستطاعوا من خلال هذه الدولة التي أقاموها تصحيح كثير من المفاهيم عند المسلمين وتطبيقها على أرض الواقع بعد أن ترسخت في أذهانهم بشكل مغاير لعقود طويلة.

لقد غابت عن المسلمين الغاية الصحيحة التي يريدها الله من تشريع الجهاد في ظل تسويق المبطلين ممن لبس لباس الجهاد، وممن ادعى أن الغاية من الجهاد إخراج "المحتل" فقط، أو الدفاع عن تراب الوطن، كما غاب عن أذهان المسلمين أن رابطة الإيمان تعلو فوق روابط الأرض والدم والعرق، وأن الحدود لا قيمة لها، في ظل نباح كلاب الوطنية الذين ترسخت في قلوبهم الحدود التي رسمها الكفار على الأرض فإذا هي قد صارت ديناً عندهم وعند كثير ممن انتسب لأهل الإسلام وعقدوا عليها الولاء والبراء.

وغاب كذلك عن أبناء المسلمين فريضة الحكم بما أنزل الله والكفر بشريعة الطاغوت، وأصبحت الشريعة والحكم بها حلماً لا يجب أن نتكلم به، وهكذا أيضا إعادة فريضة الخلافة التي انتهت في عهد ما قبل الدولة العثمانية القبورية، ولم يعد أبناء المسلمين يعرفون ما هي دار الإسلام وما هي دار الكفر ولم يعودوا يعرفون فريضة الهجرة في سبيل الله إلى دار الإسلام، ونحن بإذن الله سنسلط الضوء على المسائل التي أحيتها الدولة الإسلامية منذ أن قامت ووسعت لتطبيقها واقعاً عملياً في ظل التنظيرات التي سبقها بها الكثيرون، فإن التجديد ليس بالأقوال فحسب، وإنما بصنع واقع ملموس تحيا في ظله أجيال المسلمين، والذي لم تحققه إلا دولة الإسلام – بفضل الله تعالى وحده-، التي قامت بجهاد ثلة قليلة بدأ عملهم المبارك على أرض الفلوجة الأبية، وسنسلط الضوء إن شاء الله على الأمور التي أحيتها الدولة الإسلامية في قلوب المسلمين بعد أن أحيته في واقعهم وحياتهم، وسنتناول في بضع حلقات موضوع الغاية من الجهاد الذي بدأت به الدولة الإسلامية منذ أن قامت، في ظل المفاهيم التي انتشرت في محيطها.

تبديل الضالين لعبادة الجهاد

فعندما نشب الصراع مع الصليبيين على أرض العراق تشكلت فصائل من مناهج شتى، وبهذا تعدد مفهوم الغاية من الجهاد، فهناك فصائل وطنية مبدأها قتال "المحتل" وحرمة الدم العراقي وأن القتال على عاتق أبناء الوطن فقط ولا علاقة للمقاتلين بالحكم والسياسة، وهناك فصائل مبدأها قتال "المحتل" وتشكيل جناح سياسي يشارك في حكومة تعددية ديمقراطية تتصالح مع المرتدين وتتداول معهم السلطة عبر صناديق الاقتراع، ومن هذه الفصائل من كان يدعي سعيه لإقامة الشريعة لكن تحت عباءة ودعم أصنام آل سلول، وذلك بإنشاء حكومة ذات صبغة إسلامية لا تتعدى حدود سايكس وبيكو، ولا تتعرض لمصالح الكفار وتكتفي بإخراجهم فقط من الحدود المرسومة، وربما تحمي مصالحهم باتفاقيات بعيدة المدى كما هو حال حكومة آل سلول الكافرة المرتدة.

وهذا الحال الذي ساد أجواء القتال برز في وسطه أناس صادقون قد اقتفوا آثار السلف، مارسوا الجهاد تعبداً لله تعالى ليقيموا دينه ويرفعوا كلمته ويقمعوا الكفر وأهله، كان طليعتهم الإمام المجاهد أبو مصعب الزرقاوي تقبله الله، حيث أفهم بخطاباته حقيقة وغاية الجهاد الذي يريده الله تبارك وتعالى منا، وكان اسم الجماعة (التوحيد والجهاد) فقام جهاده على توحيد الله تبارك وتعالى وقتال من أشرك به مهما كان لونه أو عرقه ونسبه، واستنفر المهاجرين فأتوه من بلاد شتى، غير آبهين بالحدود التي رسمها الكفار، وذلك حتى لا تكون فتنة الشرك سائدة ويكون الدين كله لله، وكان للشيخ –بعد الله تعالى- الفضل في جمع أهل الصدق من المجاهدين العاملين في غير جماعة (التوحيد والجهاد) للعمل على أساس التوحيد وجهاد من كفر به وتحكيم شرعه وأسس لبناء دولة الإسلام وصرح بذلك ثم قتل بعد شهر –نسأل الله العظيم أن يتقبّله-، فأقامها من بعده الصادقون كما نحسبهم.

التوحيد أصل الجهاد

كان أصل دعوة الإمام الشهيد -كما نحسبه- أبي مصعب الزرقاوي هو الدعوة إلى توحيد الله والكفر بالطاغوت وقتاله وأتباعه وأنصاره، وقد صدع بهذه العقيدة عندما وقف أمام القاضي في المحكمة العسكرية الأردنية في خطاب طويل بيّن لهم دعوته وما هم عليه من الكفر ومما قاله للقاضي الطاغوت: "أيها القاضي بغير ما أنزل الله: تعلم أن خلاصة دعوتنا متمثلة بقوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]، فإن أول وأهم ما افترض الله على عباده تعلّمه والعمل به هو التوحيد -أي الكفر بالطاغوت والإيمان بالله" إلى أن قال تقبله الله: "إذا عرفت هذا، وظهر لك أن الكفر البواح والشرك الصراح اتخاذ غير الله مشرّعاً - سواء كان هذا المشرّع عالماً أو حاكماً أو نائباً أو شيخ عشيرة - وعلمتم أن الله قد حكم على الشرك في كتابه، فقال: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} [النساء:٤٨]... عرفتم أنَ كلّ مَنْ قَبِلَ بهذا الدين المحُدث والكفر البواح المناقض لدين الله تعالى وتوحيده، أنه قد اتخذ هؤلاء المشرعين أرباباً من دون الله تعالى، يشركهم مع الله في عبادته". انتهى

وهذه العقيدة التي صدح بها أمام الطواغيت، وفقه الله تعالى لإحيائها واقعاً عملياً على الأرض، فبعد خروجه من السجن أشعل لهيب الجهاد ضد الصليبيين وإخوانهم المرتدين في أجهزة الشرط والجيش منذ أن أنشأهما الصليبيون، وسل سيف الانتقام في رقاب الرافضة الأنجاس الذين كانوا خير معين للصليبيين، فثارت ثائرة الإخوان المرتدين والوطنيين والعلمانيين، فرد عليهم تقبله الله: "نحن هنا لا نجاهد لأجل حفنة تراب، أو حدود موهومة رسمها سايكس وبيكو، كما وأننا لا نجاهد ليحل طاغوت عربي مكان طاغوت غربي، لكنّ جهادنا أسمى وأعلى، إننا نجاهد لتكون كلمة الله هي العليا وليكون الدين كله لله: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه} [الأنفال:٣٩]، وكل من ناوء هذا الهدف أو وقف في طريق هذه الغاية فهو عدو لنا وهدف لأسيافنا مهما كان اسمه ومهما كان نسبه" [الموقف الشرعي من حكومة كرزاي العراق].

لتكون كلمة الله هي العليا

وجاء بعده أمير الدولة الإسلامية الأول أبو عمر البغدادي –تقبّله الله تعالى- فأفصح عن حقيقة الجهاد قائلاً: "إن الله لم يفرض الجهاد لأجل تحرير الأرض ليحكمها مرتدّ من جلدتنا بل لتكون كلمة الله هي العليا، فأوّل مقاصد الشريعة حفظ الدين" [أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين]، وقال رحمه الله: "اسمعوها جيداً يا قوم: لقد ولى زمان الوطنية والقومية والبعثية ودُعاتها إلى غير رجعةٍ إن شاء الله، وإنا لنحسب أن هذا زمانُ حَمَلَة راية لا إله إلا الله، ولقد رأيتم أن أعداءنا على جشع مطامعهم وشدة تناحرهم جمعتهم عقائدهم الفاسدة فمالنا لا نجتمع على عقيدتنا الصافية ولا مطمع عندنا إلا حكم الله في أرضه على منهج السلف الصالح" [العز بصيانة الدين والعرض].

وهكذا أصبح مفهوم الجهاد لدى أهل الصدق تبعاً للمنهج النبوي وهو الأساس المتين الذي قامت عليها الدولة الإسلامية، وهو أن الغاية من القتال أن تكون كلمة الله هي العليا، لتكون كلمة التوحيد هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وهذا هو سر بقاء الدولة الإسلامية وامتدادها، ولذلك امتدت ورماها الكفار في كل العالم عن قوس واحدة، وتحقق فيهم قول ورقة بن نوفل –رضي الله عنه-: "ما جاء رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي"، فهذه هي شعيرة الجهاد وذروة سنام الإسلام، وأفضل العبادات وأعظمها، لأنها شرعت لنشر التوحيد وقمع الشرك وتعبيد الناس لربهم، وهي الغاية التي لأجلها خلق الله الخلق وأرسل الرسل.

فلله الحمد على توفيقه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والحمد لله رب العالمين.

تجديد أمر الدين بأقوال وأفعال أئمة المسلمين (٢)

قتال الطوائف الممتنعة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ويتجدد الدين، والصلاة والسلام على رسولنا الذي بعث بالسيف رحمة للعالمين، أما بعد:

فاستكمالاً لبيان غاية الجهاد الذي يريده الله تعالى من عباده والذي حققته الدولة الإسلامية، نستمر في بيان ما قامت الدولة بإحيائه واقعاً عملياً في إفهام المسلمين حقيقة الجهاد وغايته، فهو من أعظم شعائر الدين، وذروة سنام الإسلام، ومن أجل العبادات وأعظمها أجراً، وليس القتال الذي يفهمه كثير من الناس بالمفاهيم الخاطئة التي تقتصر على طرد "المحتل" أو الدفاع عن تراب وطن وحسب، بل هو جهاد أسمى وأعلى، إنه قتال الكفار كافة لتكون كلمة الله هي العليا.

وهنا نوضح كيف أن الجهاد في زمن الإمام المجاهد أبي مصعب الزرقاوي -رحمه الله- قد وضحت معالم صدقه وصحة غايته قبل أن تعلن الدولة الإسلامية التي جاهد وإخوانه المهاجرون والأنصار لإقامتها، فكل الرايات في وقته كانت تدّعي الجهاد وبعضهم يدّعي السعي لإقامة الشريعة، فما الملامح التي تبين الصادق من الكاذب؟ إن الجهاد الذي أوقد لهيبه الإمام المجاهد أبو مصعب الزرقاوي تقبله الله والصادقون معه من مهاجرين وأنصار، لم يقتصر فقط على "المحتل" الصليبي، بل كان جهاده ضد كل مشرك وكافر، أصلياً كان أم مرتداً، وقد جذب هذا المنهج الصادقين الموحدين إلى صفّه تقبله الله، ونحن عندما نتحدث عن سيرة الإمام أبي مصعب تقبله الله فلأنه مهّد لإقامة الدولة الإسلامية على نهج السلف الصالح، فأحيت ذلك الجهاد واستمرت في تجديده في كل مكان وزمان، وهو صاحب الفضل -بعد الله تعالى- على كل مجاهد في هذا المسلك الذي سلكه مقتفياً بذلك آثار النبوة.

جهاد الجيوش والشرط المرتدة

فقد أوجع الصليبيين بالعمليات الاستشهادية التي أقضت مضاجعهم وأبكتهم وجعلت الغيظ يأكل قلوبهم، فأسسوا أجهزة الوكلاء من الشرطة والجيش، فأعلن ردتهم وقام بقتالهم مبيناً حكمهم الشرعي بشكل واضح بين، وكان هذا الأمر غائباً عن ساحات الجهاد، فمضى غير مكترث بنباح النابحين، فصدع بالحق وبين حقيقة هذه الأجهزة وتوعدها بالقتل والتنكيل قائلاً: "وهذا سيكون مصير كل عميل أو متآمر من حثالات التاريخ، يسير في قافلة الاحتلال، فيخسر حياته وآخرته لقاء حفنة من مال، وهل كانت أمريكا تستطيع سجن أخواتنا واغتصابهن، أو إذلال إخواننا وتهديم مساجدنا وبيوتنا واستباحة حرمتنا؛ لولا الجيش والشرطة؟ فهؤلاء هم من أتى بالأمريكان، وعبّدوا لهم الطريق، وذللوا لهم الصعوبات، فحكمهم كحكم الأمريكان {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة:٥١]، وليس له منا إلا السيف، ولا يغرنك اختلاف الأزياء وتغاير الأسماء، فقد صرنا نرى أخيراً الزي واحداً، حتى طريقة حملهم للرشاشات صارت كالأمريكان" [كلمة ألقاها عند نحر العلج آلن آرمسترونج].

وقال تقبله الله: "وحقيقة الأمر أن معركتنا اليوم لإقامة دولة الإسلام ليست مع الحكام أنفسهم فحسب، بل مع أنصارهم وأعوانهم من جند وشرطة ومخابرات الذين شبههم الله تعالى بالأوتاد في قوله تعالى: {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ} [الفجر:١٠]" [يا قومي أجيبوا داعي الله]، وهكذا وضع سيفه في رقاب شرطة الفلوجة من مرتدي أهل السنة، وكاد أن يفتك بقائد القوات الوسطى الصليبية الذي اختبأ وسطهم، كما فتك تقبله الله بجهاز الجيش الوثني الذي سيطر الرافضة على أغلب تشكيلاته لقتال أهل السنة، فلم يدعهم يلتقطون أنفاسهم، ثم استمر الإثخان في الصليبيين فسعوا لتشكيل صحوات تدفع عنهم ما هم فيه من العذاب والنكال، فأسسوا كتائب الحمزة في الأنبار، بتجنيد بعض من باع نفسه ودينه للصليبيين، فأعمل فيهم السيف وأباد خضراءهم ولم تقم لهم قائمة، فوأد الصحوات في مهدها.

جهاد الرافضة المشركين

هذا الجهاد المبارك للمرتدين يدل على صحة هذا الجهاد وقبوله عند كل صادق قبل أن يثمر تحكيم الشريعة، ولذلك نمت هذه الشجرة المباركة التي تقف على أصل ثابت وهو توحيد الله والكفر بالطاغوت، بخلاف الرايات العمية والجاهلية التي عارضت ذلك العمل، لأن قتالهم كان على ضلالة وغاية دنيوية، وقد استمرت الدولة الإسلامية على هذا النهج النبوي في قتال عناصر أجهزة الشرطة والجيش الذين استغلهما الرافضة المشركون أيما استغلال في الفتك بأهل السنة، وقد أدركت جماعة المسلمين خطر هذه الأفعى الخبيثة.

ووضح الإمام المجاهد أبو مصعب تقبله الله خطورة الرافضة المشركين أيما بيان في خطاباته المشهورة التي حملت عنوان [هل أتاك حديث الرافضة]، وساق فيها سنة من قبله من الصالحين الذين قاتلوا الرافضة على مر التأريخ، ومن العجائب أن ينسب إليه بعض المنحرفين عدم تكفيره لهم، وهو قد قاتلهم وأثخن فيهم، وبعد ما بين الإمام أبو مصعب للمسلمين حقيقة الرافضة سل سيف انتقامه للدين والدم والعرض فكان اسمه رعبا حقيقيا للرافضة المشركين، وسار فيهم بسيرة من سلفه من الأئمة والصالحين.

وقد لاقى هذا الجهاد المبارك ضد الرافضة المشركين أصواتا معارضة من قبل المفسدين أصحاب المناهج المنحرفة، سواء كانوا وطنيين أو قوميين أو حتى ممن يدعي اتباع السلف، فخاطب المسلمين وبين لهم حقيقة هذا العدو الخطير، ومما قاله تقبله الله: "فيا أهل السنة أفيقوا وانتهضوا؛ واستعدوا للفظ وبتر سموم أفاعي الرافضة، التي كانت تلدغ بكم وتسومكم سوء العذاب منذ احتلال العراق، وإلى يومنا هذا، وكفاكم من دعاوى ترك الطائفية والوحدة الوطنية، والتي أصبحت تستخدم سلاحا لترويضكم و تثبيطكم و استسلامكم، وتطبيعكم على الجبن حين تتعرضون لكيد ولؤم هؤلاء، الذين كانوا من أبرز من والى وسالم المحتل، وسعى في تخريب ونهب خيرات البلاد، ولم يكتفوا بهذا، بل واستمروا بتنفيذ مخططاتهم وسمومهم عليكم بزي الحرس والشرطة، فأوقعوا ما أوقعوا من جرائم وفتن بين صفوفكم من قتل ونهب واعتقال لرجال وأطفال ونساء، سواء أكان بمساندتهم لقوات الاحتلال أو بمناصبهم الرسمية" [هل أتاك حديث الرافضة].

وقال أيضا: "وبعد ما تقدم، نقول إن دعاة التقريب بين السنة والشيعة هم أحد رجلين: رجل علم الحق فخان دينه وأمته، وباعها بعرض من الدنيا يسير، وآخر جهل هؤلاء، فهو جاهل يعلم، فكيف يا من تدعون إلى التقريب بين السنة والرافضة، وهم على ما هم عليه من الشرك الصراح، والكفر البواح والطعن في عرض نبينا صلى الله عليه و سلم، وسب الصحابة الكرام الذين مات عنهم النبي صلى الله عليه و سلم و هو راض عنهم، فوالله لو أن أهل أحد من هؤلاء طعن في عرضه، ورمي في زوجته؛ لأقام الدنيا و أقعدها ولما استطاع أن ينظر في وجه من رماه، اللهم إنا نشهدك أن عرض نبيك صلى الله عليه و سلم أحب إلينا من أعراضنا، ونشهدك أن شعرة في رأس عائشة رضي الله عنها أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا والناس أجمعين" [هل أتاك حديث الرافضة].

وهذا المنهج المبارك لم يُغضب أهل الأديان الباطلة فحسب، بل أغضب حتى بعض أشياخ تنظيم القاعدة الذين أضلهم الله على علم والذين يرون أن القتال هو فقط للغزاة وترك باقي طوائف الشرك مثل الرافضة، وذلك لعقيدتهم المنحرفة في أسلمة عوام الرافضة، ومشاركة باقي الطوائف باسم الوطن، ولكن تلك الدعاوى لم تكن لتثني الشيخ الإمام أبا مصعب الزرقاوي تقبله الله في المضي قدماً في استئصال هذا الورم الخبيث، فكان قتال الرافضة والتنكيل بهم عند الدولة الإسلامية وعند أبناء المسلمين سنة مضت لن تتغير بإذن الله حتى تبيد خضراءهم وتستأصل جموعهم، وأصبح قتال هؤلاء الزنادقة أمراً لا يختلف فيه اثنان من جنود الدولة الإسلامية.

فلله الحمد على توفيقه، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والحمد لله رب العالمين.

تجديد أمر الدين بأقوال وأفعال أئمة المسلمين (٣)

قتال الكفار والمرتدين كافّة

نستمر بإذن الله في تبيان ما كان عليه مشيِّدو دولة الإسلام منذ أن سعى في ذلك الإمام أبو مصعب الزرقاوي تقبله الله، وقد بيّنا في الحلقتين الماضيتين إحياء المنهج النبوي في قتال المرتدين، وسنة الصالحين في النكاية بالرافضة المشركين، ونستكمل معاً اليوم الحديث عن الطوائف الممتنعة عن تطبيق الشريعة، وسنسلط الضوء في هذه الحلقة على ثبات المنهج النبوي لدى الدولة الإسلامية كما كان عليه الإمام الزرقاوي في قتال المرتدين والطوائف الممتنعة، من أجل الحفاظ على أصول هذا الدين الحنيف وإنباته في قلوب المسلمين إنباتاً حسناً، وليكون معلوماً من الدين بالضرورة بعد أن غاب لقرون.

قال الإمام أبو مصعب الزرقاوي: "لقد أحيا أبناؤكم البررة -بحمد الله- فقه سلفنا الصالح في قتال طوائف الردة وإنفاذ حكم الله في المرتدين والممتنعين عن شرائع الله" [الموقف الشرعي من حكومة كرزاي العراق].

تكفير صحوات العراق وقتالهم

وحين أُعلنت دولة الإسلام ظهر غيظ المرتدين والمنافقين من بعض رؤساء العشائر ورؤساء الرايات الجاهلية، فتحالفوا مع الصليبيين وأنقذوهم من ألوان العذاب الأليم الذي عانوا منه لسنين في العراق، وتبين كذب ادعاء المدّعين من الرايات التي ارتدت عن الدين، فخرج من رحمها من يبتغي الحق ولحق بركب الدولة الإسلامية، وتشكلت كيانات بدعم من الإخوان المرتدين بقيادة الحزب العراقي المسمى زوراً بالإسلامي والذي قاد أذرعاً عسكرية موالية للصليبيين لقتال الدولة الإسلامية بواسطة التنسيق الذي قاده مع أسياده الصليبيين، وهكذا كانوا طائفة ردة ممتنعة عن تحكيم الشريعة.

قال أمير المؤمنين أبو عمر البغدادي تقبله الله عن ردتهم وقتالهم: "نعلنُ أن الحزبَ الإسلاميَّ بكل أطيافه قيادةً وأعضاءً هم حربٌ لله ورسوله، وطائفةُ كفر وردة، يجب أن يُقتلوا حيثما وجدوا، فإننا لم نقدم آلاف الشهداء وعشرات الآلاف من الأسرى لكي تضيع ثمرة الجهاد وتتحول بلاد الرافدين من علمانية بعثية إلى علمانية أمريكية تحت دعوى الوحدة الوطنية، إن تمرد الحزب الإسلامي وحربه على الدين وأهله لا يمكن دفعه إلا باستئصال شأفة هذا الحزب اللعين فاشنقـــوا آخر عميل بأمعاء آخر محتل" [وقاتلوا المشركين كافة].

وتشكلت كذلك كيانات أخرى بدعم من آل سلول، وكانت طوائف ردة ممتنعة بشوكة كالجيش الإسلامي ومَن دخل في حلفهم بعد عدة اندماجات أرادوا بها مواجهة مشروع الدولة الإسلامية، فباءت بالفشل بعد ردتها العلنية، ودخلت الدولة الإسلامية في حرب مفتوحة مع هؤلاء الذين ظهروا جنباً إلى جنب مع الآليات الصليبية، وشكّل أمير المؤمنين فيلق الصديق لمعالجة أئمة الكفر من رؤساء هذه الطوائف المنتسبة لأهل السنة، قال تقبله الله: "نعلن عن تشكيل فيلق الصديق لقتال كل مرتد و زنديق، وذلك بعد الأعمال المبشرة والكبيرة التي قامت بها سراياه في فترته التجريبية إبان غزوة شهيد الأمة، ووفّق الله بقطف رؤوس الردة خلال فترة وجيزة بدءاً بأبي رغال الريشاوي ومروراً بالعميل الجبوري والكذاب التميمي والهالك الشمري وانتهاء بأبي بلال عنصر حماس الفعال... فلعنة الله على الجميع، فيا كتائب الصديق قفوا لدين الله وقفة الصديق" [فأما الزبد فيذهب جفاء].

وهكذا شرّدت دولة الإسلام بهم مَن خلفهم من الأتباع والأنصار، وكانت هذه الحرب معهم لأنهم لا يريدون لشرع الله أن يحكم في الأرض، ولأن الدولة الإسلامية قاتلت إخوانهم المرتدين في أجهزة الجيش والشرط والرافضة.

استئصال شأفة الإيزيدية

وعندما تجرأ عبدة الأوثان الإيزيديون على مُسلمةٍ فتحوا على أنفسهم نار الموحدين، قال أمير المؤمنين أبو عمر البغدادي: "فمَن منكم لمْ يَسمعْ بالمسلمةِ الحرةِ الشريفةِ الطاهرةِ (دعاء)؟ التي تَجَرَّأَ عليها خلقٌ في منتهى الخِسَّةِ "عَبَدَةُ الشيطانِ"، فاجتمَعُوا عليها وقتلوها بوحشيةٍ في وَضَحِ النهارِ، قِتْلَةً قطَّعتْ حتى القلوبَ المتحجرةَ، هاتفينَ باسمِ إلهِهِم "إبليس" أو ما يسمونه: "طاووس مَلَك" أي مَلِكُ الملائكةِ؛ فضاقتِ الأرضُ على أسودِ الإسلامِ في الشَّمالِ، وأقسموا بالذي رفعَ السماءَ بلا عَمَدٍ أن لا يَهْدَأَ لهم بالٌ حتى يأخذوا بثأرِها ويُخْرِجوا وساوسَ الشيطانِ من رؤوسِهِم، وخاصةً بعدَ ما رفضُوا تسليمَ أيٍّ ممن شاركَ في قتلِ الفتاةِ، وسنستمر بضربهم حتى يُعلنَ شيطانُهُمُ الأكبرُ موافقتَه وعدمَ ممانعتِه دخولَ أيِّ "إيزيدي" إلى الإسلامِ متى شاء، فكان ما كانَ، مما رآه العالَمُ؛ فهل أَخَذْنا بثأرِكِ يا "دعاء"؟ وكأني بصوتِكِ أسمعُه يا أختاه يَهْمِسُ: "نَعمْ يا عَمُّ"، وأقولُ: لا، ليسَ بعدُ يا بُنَيَّتي؛ فما زال قَتَلَتُكِ يتحركونَ على ظهرِ الأرضِ التي قتلوكِ عليها، ولم يقعوا بعدُ في أيدينا ويُذْعِنوا لمطالِبِنا، وإني لأُقْسِمُ باللهِ الذي لا عِزَّ لنا إلا به: إمّا أن يُسَلِّمُونا مَنْ قَتَلَكِ أو أنْ نُبِيْدَ خضراءَهم ونستأصِلَ شأفَتَهم، ونُخْرِجَهم بعونِ اللهِ وقوتِه وقدرتِه من أرضِ الخلافةِ" [ويمكرون ويمكر الله].

ولم تنته قصة الإيزيديين بذلك العمل المبارك إلا بسبي نسائهم وذراريهم وقتل رجالهم على أيدي جنود الخليفة الكرار أبي بكر البغدادي تقبّله الله.

صحوات الشام كصحوات العراق

ولما قُتل أمير المؤمنين أبو عمر البغدادي وخلفه الشيخ المجاهد أبو بكر البغدادي تقبّلهما الله، سار سيرة من سبقه، فحين أعلنت الدولة الإسلامية عن وجودها في الشام، ظهرت ذات المناهج المنحرفة التي ظهرت في العراق، وكان لكل منها أذرعها العسكرية على الأرض، فبادرت بحرب الدولة الإسلامية وسارعت بالغدر لوأد وجودها في الشام، لئلا يصيبهم ما أصاب إخوانهم صحوات العراق، فسار بهم أمير المؤمنين سيرة الصديق، فنكّل بهم حتى سمع عويلهم مَن بأقطارها، وقام أمير حربه المتحدث الرسمي أبو محمد العدناني تقبله الله ففضحهم وباهلهم وأخزاهم الله، ولا تزال اللعنات تلاحقهم حتى فضحهم الله على رؤوس الأشهاد، وصارت طائفة الظواهري بقيادة الذي خان مرتين، طائفة ردة امتنعت عن حكم الله وظاهرت الكافرين على دولة الإسلام، ولم تكن بمنأى عن أسياف الخلافة.

وقد صدع الشيخ العدناني بكشف انحرافاتهم وضلالهم ولم يصده عن ذلك ما كان بين الدولة والقاعدة من تعاون وبيعة انتهت بإعلان الدولة الإسلامية في العراق، فصدع بالحق وبيّنه للمسلمين بأمانة قائلاً: "إن الخلاف بين الدولة والقاعدة ليس على قتل فلان أو بيعة فلان، ليس الخلاف معهم على قتال صحوات أيدونا عليه سابقاً في العراق، ولكن القضية قضية دين اعوج ومنهج انحرف، منهج استَبدَل الصدع بملة إبراهيم والكفر بالطاغوت والبراءة من أتباعه وجهادهم بمنهج يؤمن بالسلمية ويجري خلف الأكثرية، منهج يستحي من ذكر الجهاد والصدع بالتوحيد فيستبدل ألفاظه بالثورة والشعبية والانتفاضة والنضال والكفاح والجماهيرية والدعوية وأن الرافضة المشركين الأنجاس فيهم أقوال وهم موطن دعوة لا قتال، لقد أصبحت القاعدة تجري خلف ركب الأكثرية وتسميهم الأمة فتداهنهم على حساب الدين وأصبح طاغوت الإخوان المحارب للمجاهدين الحاكم بغير شريعة الرحمن يُدعى له ويترفق به ويوصف بأنه أمل الأمة وبطل من أبطالها" [ما كان هذا منهجنا ولن يكون].

وهذا يبين ثبات دولة الخلافة على المنهج النبوي، بتكفير وقتال كل من امتنع بشوكة عن أداء شعيرة من شعائر الدين، أو والى وداهن الكفار والمرتدين، قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: "وَإِذَا كَانَ السَّلَفُ قَدْ سَمَّوْا مَانِعِي الزَّكَاةِ مُرْتَدِّينَ - مَعَ كَوْنِهِمْ يَصُومُونَ، وَيُصَلُّونَ وَلَمْ يَكُونُوا يُقَاتِلُونَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ - فَكَيْفَ بِمَنْ صَارَ مَعَ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَاتِلاً لِلْمُسْلِمِينَ" [الفتاوى].

ونحن هنا لا نسرد هذه الوقائع والأحداث لنحيط بها فتفاصيلها كثيرة، ولكن نوردها لتبيان ما عليه دولة الإسلام من تجديد مفهوم الغاية الحقيقية من الجهاد، وقتال المشركين كافة بكل أطيافهم وأعراقهم وانتساباتهم، فأصبح قتال المرتدين والمشركين والطوائف الممتنعة عن الشريعة المنتسبة زوراً لأهل السنة، أمراً معلوماً ظاهراً لدى المسلمين، وهو أننا نقاتلهم حتى لا تكون فتنة الشرك ويكون الدين كله لله. فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.



تجديد أمر الدين بأقوال وأفعال أئمة المسلمين (٤)

القتال حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله

نُكمل ما بدأناه في تبيان أمور الدين التي جدَّدتها الدولة الإسلامية في قلوب وواقع المسلمين اليوم، بعيداً عن التنظيرات الجوفاء التي اتصف بها كثيرٌ من الأدعياء داخل كياناتهم التي جعلوها شوكة يمتنعون بها عن تطبيق أوامر الله، فما كانت دعواهم إلا لمصالح دنيوية وترويجاً وتمريراً لمشاريعهم الفاسدة، بينما ما يزال جنود دولة الإسلام يقطفون الثمار اليانعة، بعد أن فقهوا أن الغاية من الجهاد هو إقامة الدين في الأرض، فتمّ لهم ما أرادوا، وأصبحت الشريعة هي الحاكمة في كل شبرٍ يسيطرون عليه.

تطهير الأرض من الشرك

ولم يكن مستغرباً حين قامت الدولة، أن تدير شؤون الناس وتحكمهم بما أنزل الله، فكان شرعه سبحانه والحُكم بما أنزل هو السائد لا غيره، وهذه ثمرة الجهاد وغايته، كما بيَّنا في غاية قتال المشركين كافة بكل طوائفهم، فسارت الدولة الإسلامية في طريقها نحو نشر التوحيد وإزالة شرك القبور والدستور.

ولذلك كان قتال الطواغيت وجنودهم وإزالة شركهم من أهم مقاصد الجهاد، فبعد ٤ سنوات على قيام دولة الإسلام، خرج أميرها أبو عمر البغدادي تقبله الله، بخطاب بعنوان: (حصاد السنين بدولة الموحدين)، وكان أول ما بدأ به من ثمار ذلك الحصاد قوله: "التوحيد رأس العبادات الذي لأجله أرسل الله الرسل، وأنزل له الكتب، وخلق الجنة والنار، فالحمد لله أولاً وآخراً إذ يسّر لنا أن يكون أهل العراق اليوم مِن أعظم الناس على وجه الأرض صيانة للتوحيد، فلا صوفية شركيةٌ يُدعى لها، لا أضرحة تُزار، ولا أعياد بدعية تُقام، لا شموع تُوقد ولا حج لوثن يُعبد، فقد دمر أهل العراق بأيديهم تلك الأضرحة حتى يُعبد الله وحده، وبدأ الحكم بشريعة الله، ليعود الأصل الشرعي: شريعة الله بدل المسخ الهجين أعني الدساتير الوضعية للغرب الكافر".

تحكيم الشريعة وإقامة معالم الدين

وأما عن المحاكم الشرعية، فقد عينت القُضاة لفضّ الخصومات والنزاعات، وقُطع دابر المفسدين وقطاع الطرق، بإقامة الحدود ليأمن الناسُ على أموالهم وأعراضهم، وجُبيت الزكاة، قال الشيخ أبو عمر تقبله الله عن تلك الحقبة: "وإني أحمد الله وأشكره على بدءِ تطبيق الشريعة في كثير من أجزاء تلك الدولة المباركة، وبطلب وإلحاح من أهلنا أنفسهم، فنصّبنا لهم القضاة لفض الخصومات الثائرة وقطع المنازعات لشاجرة، وقد مكننا الله من فض نزاعات طالت لأكثر من عقدين من الزمان وأزهقت فيها الأنفس، وأقيمت الحدود في كثير من بقاع هذه الدولة الفتية، قال صلى الله عليه وسلم: (لحد يقام في الأرض خير من أن يمطروا سبعين صباحاً)، وذلك بطلب وإلحاح من أهلنا أنفسهم حتى إن أحدهم جاء بكريمته -وهذا في العراق شديد- وقد حملت من الزنا وقال أقيموا عليها حد الله، وجاء آخر معترفاً بذلك، وتم إقامة الحد عليه بعد صلاة الجمعة وفي مشهد مهيب أمام الناس الذين كبروا لأنهم ولأول مرة في حياتهم يرون حدّاً لله يقام، وبدأت التعزيرات الرادعة لأهل الفساد في الأرض، فقطعنا دابرهم في كثير من المناطق، ثم بدأنا نضع عمالاً للزكاة وجباية الفيء والصدقات، وذلك في أغلب مناطق الدولة الإسلامية" [وقل جاء الحق وزهق الباطل].

كذلك قامت الدولة الإسلامية بفرض الجزية على نصارى الموصل حيث أرسلوا إلى أمير المؤمنين أبي عمر البغدادي، برسالة يطلبون فيها -بأنفسهم- دفع الجزية مقابل أن يأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فشتان بين من يُعزّهم بعد أن أذلهم الله ويعتبرهم "شركاء الوطن"! وبين من لا يُؤمِّنهم إلا بدفع الجزية ويضرب عليهم الذلة والصغار، واستمرت الدولة على ذلك مع نصارى الشام في الرقة بعد فتحها في عهد الخليفة أبي بكر البغدادي تقبله الله.

إظهار التوحيد والدعوة إليه

ثم بقي شرع الله تعالى عالياً حتى عندما دخلت الدولة الإسلامية في العراق مرحلة المغالبة وفقدت المدن، فلم تنقطع عن أداء حكم الله في كل ما يعرض للناس في الأرياف والبوادي التي تحت سيطرتها وحتى المناطق التي يخوض فيها المجاهدون حروب كرٍّ وفر، فيجلدون ويرجمون الزناة ويقطعون أيدي السرّاق، ويقتلون السحرة، ويقاتلون المرتدين، لا تأخذهم في الله لومة لائم.

واستمرت في ذلك بعد أن فتح الله عليها بلاد الشام وبايعها الصادقون في أصقاع الأرض، وكان إزالة معالم الشرك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتطبيق الشريعة كاملاً غير منقوص؛ مشهوداً ومعلوماً لكل ذي سمع وبصر، فرأى العالم كله شرع الله يسود في الخلق، فأحيت الدولة الإسلامية هذا الواقع الغائب عن عقول وقلوب المسلمين، وبهذا تبيّن صدق مجاهديها في تحقيق غاية الجهاد التي غيّبها المرتدون والأدعياء الذين لبسوا هذا اللباس زوراً وخداعاً للمسلمين.

وكان إظهار واقع الدولة الإسلامية للعالم أجمع، دعوةً إلى الله تعالى وتبياناً للحق من الباطل، والهدى من الضلالة، فأتاها المهاجرون من كل حدب وصوب يجاهدون مع إمامها وتحت رايتها، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، ونحسب أنهم لن يبدلوا إن شاء الله، كما حشدت الدولة طاقاتها الدعوية لنشر العلم وتعليم الناس دينهم فكانت الدعوة داخل أرض الدولة الإسلامية وخارجها، وهدفها من ذلك تعبيد الناس لربهم سبحانه، وجعل كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وتلك غاية القتال والجهاد، قال الشيخ المجاهد أبو حمزة المهاجر تقبله الله: "وإن أكثر الناس كالأنعام السائبة لا يعرفون لماذا وجِدوا وإلامَ يصبون، وتذكروا أنكم تقاتلون لتُخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد" [إن الحكم إلا لله].

تغيير الواقع الفاسد لا التغير معه

إن مواجهة واقع الجاهلية الذي أحاط بالمسلمين؛ تصدّت له الدولة الإسلامية بقوة الكتاب الهادي والسيف الناصر، فكسرت شوكته وفرضت واقعاً جديداً يناسب فطرة الموحد، بخلاف كل الجبناء من أصحاب الدعاوى الذين لم يصْدقوا مع ربهم ثم مع المسلمين، فلم يجرؤوا على مواجهة الواقع الجاهلي وكسر شوكته من خلال قتال طوائف الردة المختلفة وعدم السماح لهم بإشاعة باطلهم وفسادهم، وهذا هو حال كثير ممن انتسب إلى الجهاد؛ فأصبح يتماشى مع ذلك الواقع الذي يختاره الناس، ويطلب رضى الناس بسخط الله تعالى، وهذا هو الكفر البواح، وأما عند الدولة الإسلامية، فإما أن يكون الدين كله لله أو يكون القتال حتى الممات والإعذار إلى الله تعالى، فكان هذا مما أحيته الدولة الإسلامية وجدَّدته في الأمة واقعاً عملياً بعيداً عن دعاوى الكذابين والمُلبِّسين ممن سبقوها بالتنظيرات وتخلفوا عنها حين رأوا ذلك الواقع مطبّقاً، بل كفروا به وتماشوا مع أهل الردة ووالوهم!

وهكذا طرحت الدولة الإسلامية مشروعها وطبّقته واقعاً عملياً حين حان وقت قطاف الثمر، ولم تأبه للواقع الذي أحاط بها من مشاريع الصليبيين والمرتدين، قال الشيخ أبو عمر البغدادي عن ذلك: "أدرك رجالُ الإسلام وفرسانُ الجهاد وعلماؤهم، أن الفرصة سانحة لقيام دولة الإسلام في أرضه وتحكيم شريعته، فبادَروا لإعلان دولة العراق الإسلامية، فطار جنونكم واستشاط شيطانكم، فكيف استطاع هؤلاء أن يقيموا للإسلام دولة في عقر دار الإسلام وبوجود جحافل الشر والكفر من كل ملل الأرض وكانوا لا يقدرون على ذلك في زمن عميلهم الهالك البعثي، وارتعدت معكم فرائص أقوام كانوا يحسبون أن ثمرة جهادنا ستقع في أفواههم، بل يُصرحون أحياناً بذلك ناسين أننا موحدون لسنا مُغفلين، وقد فقهنا دروس الماضي جيداً، ونعترف أن كثيراً من هؤلاء قاتل حميةً لأرضه أو وجاهةً في قومه أو تحت لواء عقيدة فاسدة وأفكار مشوهة، فالتقى هوى المحتل الصهيوني الصليبي مع الخائب الخاسر الوطني لإفشال وإسقاط دولة الإسلام" [وعد الله].

هكذا طُبقت شريعة الله تعالى بعد ممارسة الجهاد الذي يريده سبحانه، بسواعد الأئمة المجددين وجندهم الميامين، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.